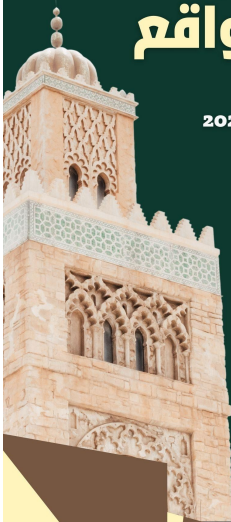
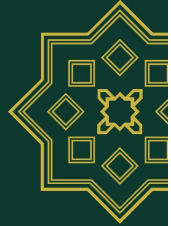




إهدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

بحوث الملتقى الدولي الثامن
**جهود علماء الغرب الإسلامي
في تنزيل النص القرآني على الواقع**

بتاريخ: 22و21 ربيع الثاني 1444هـ / الموافق ل 15 و 16 نوفمبر 2022



دلالة اللفظ القرآني وأثره في تنزيل الآيات على الواقع عند الشيخ محمد الحواس بوسنة في تفسيره

د/ عز الدين كربوش

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
Azeddinekerbouche@gmail.com



مقدمة

كانت الآيات زمن التنزيل ترد موافقة للواقع تعالج قضايا البشرية، فتشريع لهم الأحكام، وتهديهم إلى أفضل السبل، وتبعدهم عن طريق الشيطان وأبواب الهلاك، وبذلك تفي بحاجاتهم الإيمانية، وترشدتهم إلى مقوماته الخلقية، وتبين لهم تشريعات الإسلام؛ فتفرق بين الحلال والحرام، والطيب والخبيث، والمأمور به والمنهي عنه، فكان القرآن يحقق الاكتفاء لأهل الإيمان، فلا يستشكل عليهم أمر إلا وضح لهم، ولا تخفى عليهم مسألة إلا أعلمهم بها، ولا يختلفون بينهم إلا بصرهم بالحق، ولم يدم هذا الأمر إلا فترة حياة النبي صلى الله عليه وسلم حين كان الوحي يأتيه من السماء، وبانقطاع الوحي احتاجت الأمة إلى علماء مقتدرين يستنطقون نصوص القرآن لينزلوها على واقع الأمة، ويربطوها بالمستحدثات وما جد منها في كل عصر.

ولقد ساعد أهل التفسير والفقه في استنباط دلالات متجددة بحسب المستجدات والوقائع سعة اللغة العربية وغنى ألفاظها بالمعاني، فكان من شروط المتعرض لكتاب الله أن يكون على دراية بعلوم اللغة العربية بمستوياتها المختلفة، فإن اللغة هي وسيلة الخطاب القرآني، ولن تفهم هذه الرسالة حق الفهم إلا بمعرفة سنن العرب في كلامهم، ولذلك توافق العلماء قديما وحديثا على ضرورة الإمام بعلوم اللغة العربية للمجتهدين في استنباط الأحكام من القرآن الكريم، وكذلك من السنة النبوية، فإن اللغة إحدى آليات فك الرموز والتنقيب عن الدلالات للوصول إلى الأحكام المقصودة.

ومن هذه الجهود التي لفتت انتباهي تفسير القرآن الموسوم بـ "الفيض الرباني في بيان معاني القرآن" لصاحبه: "محمد الحواس بوسنة"، والذي جاء بأسلوب معاصر يربط النص القرآني بواقع الأمة، ويحاول صاحبه أن يجعل من إرشاداته هداية للحائرين ونورا للمهتدين، وذلك من خلال ما يستلهمه من آيات الذكر الحكيم، ورأيت أن صاحب التفسير قد وفق إلى حد كبير في بسط دلالات النصوص بأسلوب واقعي متجدد، فأصبح المعنى مألوفا يحمل رسالة بيّنة الغاية والمقصد، لا يجد فيه القارئ لبسا ولا غموضا يؤدي إلى الحيرة والشك.

وذلك ما دعاني إلى اختيار هذا التفسير ليكون ميدانا لبحث موضوع تنزيل الآيات على الواقع، وهنا تبادرت إلى ذهني تساؤلات شكلت مجتمعة إشكالا يحتاج إلى بحث وتمحيص من أجل الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما سر مواكبة النص القرآني وشروحه لمتغيرات العصر؟
- ما دور اللفظ القرآني في تحقيق دلالة متجددة للنص القرآني؟
- ما هي خصائص اللفظ القرآني الذي تميز بالحياة والتجدد؟
- هل كان لدلالة اللفظ القرآني علاقة بتزليل النصوص على الواقع في التفسير الذي بين أيدينا؟

ومن أجل الإجابة عن التساؤلات السابقة وغيرها من الأسئلة الفرعية التي تندرج تحتها، طرحت فكرة البحث في الموضوع الذي عنونته بـ "دلالة اللفظ القرآني وأثره في تنزيل الآيات على الواقع عند الشيخ محمد الحواس بوسنة في تفسيره".

ويهدف من وراء البحث في هذا الموضوع: إلى بيان القيمة العلمية لهذا التفسير، وبيان طرقه في الغوص في معاني الآيات مثل: تنزيل النصوص على الواقع، واستثمار غنى الألفاظ في البحث عن المعاني الواسعة والمتجددة.

وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يرتبط بأحد أشرف العلوم (علم التفسير)، وذلك لارتباطه بالقرآن الكريم، كما أن الموضوع يبحث في إحدى آليات تجديد الخطاب القرآني وربطه بالوقائع، وذلك باستثمار ألفاظه المتميزة في دلالتها على المعنى المراد.

وعلمي في هذا البحث مبني على شقين:

شق نظري: حاولت فيه التعريف بالموضوع وما يتعلق به، وأضفت إلى ذلك تعريفا موجزا بالتفسير وصاحبه، أما الشق التطبيقي فأتجهت فيه إلى عرض نماذج من الكتاب، لبيان أسلوب الكاتب في تنزيل الآيات على واقع الأمة، وبيان دور الألفاظ الأساسية في تنزيل الآيات، وذلك وفق خطة البحث الآتية:

مقدمة: تعرضت فيها للتعريف بالموضوع، وبيان إشكالية البحث، وذكر الأسباب الموضوعية لاختياره، كما وضحت فيها خطة البحث، وعملنا فيه.

المبحث الأول: مسائل نظرية تتعلق بالموضوع.

المطلب الأول: خصائص اللفظ القرآني. وقفنا فيه مع مميزات الألفاظ القرآنية، من وضوح ودقة... وغيرها.

المطلب الثاني: تنزيل الآيات على الواقع. عرفنا فيه بهذه العملية وتاريخ ظهورها وعلاقتها بعلم التفسير.

المطلب الثالث: التعريف بصاحب التفسير. قدمنا فيه نبذة عن سيرة صاحب التفسير العلمية والعملية.

المطلب الرابع: التعريف بكتاب "الفيض الرباني في بيان معاني القرآن"، عرفنا فيه بهذا التفسير وأشرنا إلى أبرز مميزاته.

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية من الكتاب. وقفنا فيه مع عشرة أمثلة الأولى في الكتاب التي

تم تنزيلها على الواقع.

خاتمة. ذكرنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها.

المبحث الأول: مسائل نظرية تتعلق بالموضوع.

يحتاج البحث في هذا الموضوع للتطرق إلى نقاط مهمة تشكل المسائل الرئيسية لموضوع البحث، منها معرفة خصائص اللفظ القرآني ومميزاته، ومعرفة عملية تنزيل النصوص على الواقع خصوصا ما تعلق منها بعلم التفسير، وكذلك التعريف بالكتاب، ومؤلفه.

المطلب الأول: خصائص اللفظ القرآني.

إن أعظم حدث في تاريخ اللغة العربية نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين، حيث اختار الله -عز وجل- ألفاظها لتكون وعاء للمعاني التي أراد أن يخاطب بها الناس، ولم يكن هذا الاختيار إلا عن علم وحكمة من صاحب التنزيل، ودليل على دقة ألفاظ القرآن الكريم في إيراد المعاني، وسعتها في احتوائها، ونحن نؤمن إيمانا جازما أنه لولا قدرة اللغة العربية على استيعاب تلك المعاني، وعرضها في أكمل صورة لما اختارها الله -عز وجل- لهذه المهمة، ولما شرفها بها، وبهذا أصبحت اللغة العربية من وسائل فهم الكتاب والسنة، وأصبح العلم بها من الواجبات الكفائية على الأمة⁽¹⁾، وفي هذا المعنى يقول صاحب التفسير اللغوي للقرآن الكريم: "كانت لغة العرب من أهم المصادر وأوثقها في معرفة دلالات الكلام (أي معاني الألفاظ) التي يدور عليها كثير من علم التفسير، ليعرف المراد بالخطاب"⁽²⁾، ولعل أحد أهم المباحث اللغوية التي كانت محل اهتمام وبحث الأصوليين والفقهاء مباحث الألفاظ، من حيث الدلالة الأصلية (المعجمية) والصرفية والنحوية والسياقية... وغيرها، ومن حيث الخصوص والعموم، والتقييد والإطلاق...، والتفسير اللغوي أو اللفظي للقرآن الكريم عملية دقيقة تحتاج إلى علم وتمحيص نظر وترثيث في إطلاق الأحكام، يقول القرضاوي: "أنبه هنا على قضية مهمة جدا، وهي أن اللغة التي يرجع إليها، ويؤخذ بها هي اللغة المعروفة في عصر نزول القرآن، والعبرة بما تدل عليه الألفاظ في ذلك العصر، لا بالدلالات الحادثة بعد ذلك"⁽³⁾، فما هي خصائص اللفظ القرآني:

1. الوضوح:

اتسمت ألفاظ القرآن الكريم بالوضوح والبعد عن الغرابة، فلم يستطع أهل العربية من أعداء الرسول أن يجدوا بابا للطنن في دلالات ألفاظه، بل كانوا ينهرون من حسن نظمه وتناسق دلالاته، فلا يجدون مخرجا غير وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالسحر، وكان مما يعاب على الشعراء استعمال الألفاظ الغريبة، التي لم تكن مألوفة الاستعمال، كما يعاب عليهم خفاء المعنى بسبب سوء التركيب وهجانة الأسلوب، وهذا ما لم يجده في القرآن الكريم، يقول

¹ - ينظر: فقه التنزيل حقيقته وضوابطه: وسيلة خلفي، دار الوعي، الجزائر، الطبعة الأولى، 2009م، ص44.

² - التفسير اللغوي للقرآن الكريم: مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام -السعودية، دط، ص5.

³ - كيف نتعامل مع القرآن العظيم: يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة- مصر، الطبعة الثالثة، 1421هـ/ 2000م، ص232.

عبد الله دراز: "وتقرأ القطعة من القرآن فتجد في ألفاظها من الشفوف والملاسة والإحكام، والخلو من كل غريب عن الغرض، ما يتسابق به مغزاها إلى نفسك دون كد خاطر ولا استعادة حديث، كأنك لا تسمع كلاما ولغات بل ترى صوراً وحقائق ماثلة"⁽¹⁾، فإن القرآن على علو فصاحة ألفاظه يركب المعنى في صورة سلسلة مستساغة تناسب كل مقام، فحققت آياته قمة البلاغة والبيان عند الوعد والوعيد والزجر والتهديد والأمر والنهي، ولم يستطع أحد من فصحاء العرب أن يطعن في بيان القرآن، وهو يتحداهم في الإتيان بمثله، ثم بعشر سور من مثله، بل بسورة واحدة فما استطاعوا ولا قاربوا، يقول صاحب بلاغة القرآن الكريم: "هذا الكتاب العظيم الذي أعجز فصحاء العرب وبلغاءهم، وأذهلت كلماته النيرة الساطعة وآياته الباهرة الوضوء عقول الناطقين بلغة الضاد"⁽²⁾، واعتراف أعداء النبي وتسليمهم خير دليل على وضوح دلالات ألفاظه، وبعدها عن كل علامات الضعف والغرابة والاستهجان.

2. دقة المعنى:

وتتصف ألفاظ القرآن الكريم بهذه الميزة بلا خلاف بين المهتمين بالدراسات القرآنية والبلاغية، فإن اللفظ القرآني يحمل من الدلالات الظاهرة والخفية ما لا يحمله لفظ غيره، يقول ابن عطية: "وكتاب الله لو نزعته منه لفظة ثم أدت لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"⁽³⁾، وكأنك تحس أن اللفظ القرآني خلق لهذا الموضع، وهو ما يؤكد صاحب خصائص التعبير القرآني: "يؤدي معناه في دقة فائقة تكاد تؤمن معها بأن هذا المكان إنما خلقت له هذه اللفظة دون سواها، ولذلك لا تجد في القرآن ترادفاً، بل كل كلمة تحمل إليك معنى جديد"⁽⁴⁾، وحتى الكلمات المعربة والغريبة فقال العلماء أن القرآن استعملها لأنه لا يوجد غيرها يغني عنها في مواقعها من نظم الآيات، لا في حال الإفراد ولا التركيب⁽⁵⁾، وحتى الألفاظ المتقاربة جداً في الدلالة فلا شك في وجود فروق دلالية وقف عليها العلماء، يقول فاضل السامرائي: "قد يحذف في التعبير القرآني من الكلمة نحو (استطاعوا) و(اسطاعوا)، و(تنزل) و(تتزل)، و(تتوفاهم) و(توفاهم)، و(لم يكن) و(لم يك)، وما إلى ذلك وكل ذلك لغرض وليس اعتباطاً، فالتعبير القرآني تعبير في مقصود، كل كلمة بل كل حرف إنما وضع لقصد"⁽⁶⁾، وقد

¹ - النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن: محمد عبد الله دراز، تحقيق: عبد الحميد الداخني، دار طبية للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1421هـ/2000م، ص 147.

² - بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعراباً وتفسيراً بإيجاز: بهجت عبد الواحد الشبخي، مكتبة دنديس، عمان- الأردن، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م، ج 1، ص 5.

³ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م، ج 1، ص 52.

⁴ - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م، ص 245.

⁵ - ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، دط، 1424هـ/2003م، ص 62.

⁶ - بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: فاضل صالح السامرائي، العاتك لصناعة الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، الطبعة الثانية، 1427هـ/2006م، ص 9.

أظهرت الإحصاءات التي قام بها المهتمون حول الإعجاز العددي في القرآن الكريم دقة متناهية في اختيار الألفاظ ووضعها، واكتشفوا توافقا عدديا عجيبا بين لفظي (الدنيا والآخرة) و(الحياة والموت) و(الملائكة والشياطين) و(الجنة والنار)، قال السامرائي: "لقد تبين أنه لم توضع الألفاظ عبثا ولا من غير حساب، بل هي موضوعة وضعا دقيقا بحساب دقيق" (1).

3.سعة المعنى:

وهو ما يطلق عليه أيضا ثراء المعنى، فالقرآن يدل بالكلمة الواحدة أو الكلمات المختصرة على معان متعددة يطول شرحها، وينتقي من الألفاظ جوامعها وأغناها بالدلالة، ومثل له بعض العلماء (2) بلفظي: (الهدى) الذي عد له سبعة عشر معنى، وكذلك لفظ (السوء)، فاتسمت ألفاظ القرآن بالمرونة والغنى بما يتناسب مع المعاني الشرعية والأمور العملية، كما غذى هذا الثراء اختلاف القراءات القرآنية، فإن تباين القراءات يتعدد معه المعنى، وكذلك المشترك اللفظي الذي يكثر في القرآن الكريم، وجمعت ألفاظه بين مخاطبة العقل والوجدان كما يصفها صاحب النبأ العظيم: "وهو القادر على أن يخاطب العقل والقلب معا بلسان، وأن يمزج الحق والجمال معا يلتقيان ولا يبغيان، وأن يخرج من بينهما شرابا خالصا سائغا للشاربين، وهذا هو ما تجده في كتابه الكريم حيثما توجهت" (3)، وتم اختيار ألفاظه بما يفي بالمعنى دون إسراف أو تقتير: "فانظر حيث شئت من القرآن الكريم، تجد بيانا قد قدر على حاجة النفس أحسن تقدير، فلا تحس فيه بتخمة الإسراف ولا بمخمصة التقتير، يؤدي لك من كل معنى صورة نقية وافية، (نقية) لا يشوبها شيء مما هو غريب عنها، (وافية) لا يشذ عنها شيء من عناصرها الأصلية ولواحقها الكمالية، كل ذلك في أوجز لفظ وأنقاه" (4).

المطلب الثاني: تنزيل الآيات على الواقع:

لقد كان نزول القرآن الكريم بحسب الوقائع والأحداث، فكانت الآيات تنزل لتجيب عن استفسار أو تحل إشكالا مما كان يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجد له جوابا، فينتظر الوحي ليسد حاجته، فكان ذلك من دلائل النبوة، فالرسول لا يدعي علما إلا بما علمه الله، كما أن نزول القرآن كان مسليا عن النبي الكريم ومثبنا لعزمته، وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحي انتقل الصحابة إلى تنزيل النصوص على النوازل الحادثة، فقد علموا أن القرآن لا يتجاوز الزمن، ولا يضيق به مكان، فيبقى القرآن نورا لكل من يطلب الهداية ومرجعا لمن يريد العلم النافع وموجها لمن يسعى لتحقيق العمل الصالح، ولعل أحد أشهر حوادث تنزيل النص القرآني على الواقع يوم وفاة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، حيث اضطرب الناس من أثر الصدمة عليهم وألم الفاجعة في نفوسهم حتى قطع أبو بكر رضي الله عنه هذا الشك باليقين فقال: "من كان منكم يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فإن

1- التعبير القرآني: فاضل صالح السامرائي، دارعمار، عمان-الأردن، الطبعة الرابعة، 1427هـ/2006م، ص12.

2- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، ص367.

3- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن: محمد عبد الله دراز، ص145..

4- المصدر نفسه، ص141.

محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً﴾ ال عمران/144⁽¹⁾، فكانت تلاوة أبي بكر لهذه الآية في هذا الوضع الصعب بمثابة البلسم الشافي الذي وقع على قلوب سيطرت عليها الحيرة والدهشة من هول الموقف، فاستكانت وهدأت وسلمت لقضاء الله.

وبقيت التفاسير تجدد عرض معاني القرآن الكريم بخطاب معاصر متجدد يستجيب لحاجات الأمة في شتى المجالات، وذلك في ما عرف عند المسلمين بفقہ النوازل، أو تنزيل النصوص على الواقع، وهي عملية لها ضوابطها وشروطها التي تنظم هذه العملية التي تهدف إلى إحياء النصوص وتفعيل دلالاتها وربطها بواقع الناس، ولا شك أن فترة الضعف التي مرت بها الأمة الإسلامية كان لها أثرها على الإنتاج العلمي على غرار التفسير، حيث ظهرت تفاسير جافة لا تعدو شرح الألفاظ وذكر المعاني العامة دون ربط للنصوص بالواقع، وذلك ما جعل بعض المصلحين في العصر الحديث ينتقد هذه التفاسير، ويعيرها بالنقص والضعف، فكانت إحدى رسائل محمد عبده لإصلاح التفسير، وكان أثر ذلك في ظهور تفاسير معاصرة تحمل نزعة إصلاحية، وتميل إلى إيجاد حلول لما علق بالأمة من تجاوزات في الجانب العقائدي أو التشريعي، نذكر منها: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، ومجالس التذكير لعبد الحميد بن باديس وغيرها.

ويعد تنزيل النصوص على الواقع عند المفسرين ضرباً من الاجتهاد؛ حيث يسعى صاحب التفسير إلى ربط دلالات الآيات بواقع الناس، ويجتهد في استنباط أحكام واقعية تصلح عقائد المتلقين وعباداتهم ومعاملاتهم، ويعرّف تنزيل نصوص القرآن على الواقع بأنه: مقابلة الأحداث المعاصرة للمفسّر بما يشابهها في كتاب الله تعالى، سواء كانت المقابلة تامة أو جزئية أو مخالفة لما عليه الآية⁽²⁾، فتتزيل النصوص على الواقع عبارة عن عملية قياس واستنباط تقرن النصوص الثابتة بالأحداث الواقعية التي تدخل تحت دلالاتها، وذلك بمفهوم المشابهة أو المخالفة، وبذلك تأخذ حكمها من دلالات النص وتوجهاته، ويعرف هذا الفن أيضاً بأنه: إيقاع الأفعال وفق مقتضى الأدلة، وتطبيق الحكم الكلي على الواقعة الجزئية المندرجة ضمنه، سواء كانت واقعة لها سابقة من جنسها أو نازلة جديدة⁽³⁾، وهذا يتطلب فهماً عميقاً للنص، ووقوفاً على مراد الشارع منه، ودقة في إسقاط الدليل على الواقعة، أما الاجتهاد في تنزيل الأحكام، فإن ركنه الأساسي هو الأحداث والوقائع التي هي محل التنزيل، ولذلك يعد فهم الواقع قسيماً لفهم الحكم المتعلق به⁽⁴⁾.

¹ - صفة الصفة: جمال الدين ابن الجوزي، تحقيق: خالد مصطفى طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، دط، 1433هـ/2012م، ص90.

² - تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين دراسة وتطبيق: عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر، مجلة جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، 1428هـ/2007م، ص33.

³ - فقه التنزيل حقيقته وضوابطه: وسيلة خلفي، ص102.

⁴ - المصدر نفسه: ص187.

المطلب الثالث: التعريف بصاحب التفسير.

هو محمد الحواس بوسنة الجزائري، ولد يوم السابع والعشرين من شهر مارس سنة إثنين وثلاثين وتسع مائة وألف (1932م)، بصالح باي ولاية سطيف الجزائر، وسط عائلة عرفت بالعلم طلبا وتعلّما وتأليفا، فأخذ القرآن في زاوية جده، ونهل من علم والده محمد الطيب بوسنة، وذلك قبل أن يتوجه إلى جامع الزيتونة حيث أفاد من ثلة من علمائها الأفاضل كعبد الحليم محمود شيخ الأزهر لاحقا، ومحمد الطاهر بن عاشور، وابنه محمد الفاضل بن عاشور، وعند عودته إلى الجزائر التحق بجامعة الجزائر ليتحصل على شهادة اللسانس في الفلسفة.

وقد شغل الرجل مناصب عدة بداية من أستاذ في الطور الابتدائي إلى أستاذ لمادة الفلسفة بالطور الثانوي، ثم أستاذا للتربية وعلم النفس بالمعهد التكنولوجي للتربية، أضف إلى ذلك نشاطه الدعوي في المساجد قبل أن ينتقل إلى الإمامة رسميا سنة واحد وثمانين وتسع مائة وألف (1981م) مدرسا وخطيبا بعدد المساجد.

وقد أسهم المؤلف بعدة مؤلفات منها المطبوع: كالكتاب الذي هو محل دراستنا (الفيض الرباني في بيان معاني القرآن)، والتربية والتعليم عند ابن خلدون، وخواطر في التربية والتعليم، وفهرست أعلام المفسرين للقرآن الكريم عبر العصور الإسلامية، والإسلام دين العدل والإحسان.

ومجموعة أخرى لا تزال مخطوطة: كالمعرجات الحاسمة في تاريخ الجزائر المعاصرة، وفهرست أعلام ومتصوفة الجزائر وزواياهم عبر العصور، والمعلّى والمدلى في ذكر فقهاء منطقة "عين ولان"، وأعلام من الجزائر، وعجالة في مقاصد التشريع.

انتقل الشيخ محمد الحواس بوسنة إلى جواربه يوم: السادس أفريل سنة إحدى عشر وألفين (2011م)، وذلك بعد مسيرة حافلة بالعلم والعطاء، حيث خلف وراءه ذكرا حسنا وثناء واسعا⁽¹⁾.

المطلب الرابع: التعريف بكتاب "الفيض الرباني في بيان معاني القرآن".

يعد تفسير "الفيض الرباني في بيان معاني القرآن" علامة على العلم الذي جمعه المؤلف، وثمره من ثمار جهده في التأليف، وصورة لمنهجه في عرض الأفكار، وبيان الأحكام التي جاءت في كتاب الله -عز وجل- ضمنه المؤلف تفسير سورة الفاتحة، البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، طبع الكتاب في مجلدين بتحقيق عبد الكريم حامدي، وقد أدخل على عنوان التفسير تعديلا ليكون العنوان مختصرا وجامعا -حسب رأيه⁽²⁾- فأصبح العنوان: "الفيض الرباني في بيان معاني القرآن" بدل العنوان الذي أطلقه المؤلف: "الفيض الرباني في ذكر بعض معاني الذكر الحكيم"، وكانت نية المؤلف إتمام تفسيره إلا أن المرض ثم الموت عاجلاه، ذلك منعه من

¹ لمزيد معلومات عن حياته، ينظر: الأعمال الكاملة للشيخ محمد الحواس بوسنة السطايفي ج6 (تأبينية الشيخ الإمام محمد الحواس بوسنة)، دار كنوز الرشيد للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2015م، ص105، 131.

² الفيض الرباني في بيان معاني القرآن: محمد الحواس بوسنة، تحقيق: عبد الكريم حامدي، دار كنوز الرشيد للنشر والتوزيع، الجزائر، العاصمة- الجزائر، دط، 2015م، ج1، ص9.

غايته.

لقد كانت المادة العلمية التي طرحها المؤلف في تفسيره متنوعة تنوع المصادر التي اعتمد عليها، كالطبري في تفسيره: (جامع البيان في تفسير القرآن، وابن الجوزي في تفسيره: (زاد المسير)، والزجاج في كتابه: (معاني القرآن)، والقرطبي في تفسيره: (الجامع لأحكام القرآن).

إن المتصفح لتفسير محمد الحواس بوسنة يرى منهجا خاصا يعتمد على الاختصار، ويزاوج بين النقل والاجتهاد وإبداء الرأي: فيفسر القرآن بالقرآن وبالحدِيث وأقوال الصحابة وأئمة التفسير، ذلك لم يمنعه في مواضع عدة من إبداء رأيه والترجيح بين الأقوال، ورد بعضها وتضعيفه، وهو في ذلك يحاول إظهار قوة ما يذهب إليه بالدليل والحجة والرجوع إلى سبب النزول، ودون إغفال لأقوال معتبرة لأصحاب التفاسير الذين سبقوه، وهو ما أشار إليه في مقدمة تفسيره، حيث قال: "واتبعت أثناء تفسيري لبعض معاني الآيات القرآنية ما كان قد نادى به أبو حامد الغزالي وشيخ الإسلام ابن تيمية من وجوب الاجتهاد في فهم القرآن الكريم حتى يتحرر المفسر للقرآن من الآراء المسبقة، ويتعد عن الاجترار والتكرار"⁽¹⁾ وذلك ما عاد على الكتاب بطعم خاص ونكهة مميزة، تحس معه بشخصية صاحب الكتاب ونظرته المتأملّة في دلالات الألفاظ والنصوص.

لعل أحد مميزات هذا التفسير عن غيره من التفاسير: أن الشيخ قد نأى بنفسه عن الخوض في كثير من المسائل اللغوية والبلاغية التي يرى أنها زائدة ولا فائدة من كثرة الخوض فيها غير شغل النفس بما لا ينفع، بل يراه من إدخال شيء في التفسير ليس منه، قال: "مع البعد بمعاني القرآن عن النحو والبلاغة والفلسفة والإسرائيليات وغيرها، والتي أدخلها بعض المفسرين في تفاسيرهم، وبذلك أدخلوا في تفسير القرآن ما ليس منه"⁽²⁾، فصب جهده على بيان المعاني الدقيقة التي أرسلها المولى -عز وجل- لعباده، ولأجل اختزال الطريق الموصول إلى معاني الآيات ومقاصدها فقد اجتنب المؤلف الانجرار وراء الجدالات الفقهيّة، وإيراد الخلافات التي تشتت فكر القارئ، وتحول دون إحاطته بالمعنى المراد من الآيات، وكذلك بالبعد عن الأقوال الضعيفة والواهية المبنية على الإسرائيليات خصوصا.

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية من الكتاب.

لقد وقفنا في التفسير الذي بين أيدينا على مواضع متعددة، قام فيها صاحب التفسير بتزليل الآية على الواقع، وربط فيها المعنى بإرشادات عملية، وهي تربو على الخمسين موضع في المجلد الأول فقط، وكثيرا ما نجد المعنى الممتد من عهد نزول الوحي إلى عصر المؤلف يدور حول لفظ أو ألفاظ قرآنية، تميزت تلك الألفاظ بالحياة والتجدد لتعطي رسائل إلهية لا تفتى بالتقادم، وإنما تتجدد دلالاتها بتجدد المتلقين واختلاف الوقائع.

¹ - المصدر السابق، ج 1، ص 14.

² - المصدر نفسه، ج 1، ص 15.

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿إياك نستعين﴾ الفاتحة 5.

لقد كان تنزيل معنى هذه الآية على الواقع يدور حول لفظ (الاستعانة)، ومعناه طلب العون كما جاء عند الأصفهاني: "الاستعانة طلب العون"⁽¹⁾، وجاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم بالمعنى ذاته: "نستعين نطلب العون"⁽²⁾، ويقول صاحب المعجم الوافي لكلمات القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿استعينوا بالله﴾ الأعراف 128: "اطلبوا العون منه"⁽³⁾.

وجاء اللفظ في صيغة الفعل الذي يفيد الحدوث والتجدد، يقول الزركشي في الفرق بين الخطاب بالاسم والفعل: "الفعل يدل على التجدد والحدوث، والاسم على الاستقرار والثبوت، ولا يحسن وضع أحدهما موضع الآخر"⁽⁴⁾، والمضارع (نستعين) يفيد الحال والاستقبال، فحاجة الخلق إلى الخالق تتجدد ولا تنقطع، كما أن الاستعانة مربوطة بما وقر في القلوب من إيمان بضعف الخلق وقوة الخالق، ولذلك نخصه بالاستعانة به على قضاء الحوائج، وذلك ما يدل عليه تركيب الآية على أحد أساليب القصر بتقديم المفعول على الفعل والفاعل، وهكذا يوجهنا مولانا -عز وجل- إلى دوام الاستعانة بالله وحده في قضاء المصالح ودفع المضار، فبعد بدل الجهد وتقديم الأسباب وجب تفويض النتائج إلى مسبب الأسباب سبحانه، قال صاحب المنار: "فيجب علينا أن نقوم بما في استطاعتنا من ذلك، ونبدل في إتقان أعمالنا كل ما نستطيع من حول وقوة، وأن نتعاون ويساعد بعضنا بعضاً على ذلك، ونفوض الأمر في ما وراء كسبنا إلى القادر على كل شيء، ونلجأ إليه وحده، ونطلب المعونة المتممة للعمل والموصلة لثمرته منه سبحانه دون سواه"⁽⁵⁾،

وقد حمل صاحب التفسير هذا المعنى ليسقطه على واقعنا، فإن الناس لا غنى لهم عن الاستعانة بالله -عز وجل- في عصرنا وفي كل عصر، فقال: "فكل ما يفعله الإنسان من أعمال عظيمة أو حقيرة فإلله هو المعين للعباد على تحقيقها وإتمامها، سواء ما تعلق منها بأمر الدين أو الدنيا"⁽⁶⁾.

ويرد على أولئك الذين ربما اغتروا بعلمهم واكتشافاتهم فيقول: "وحتى الإنجازات العلمية العظيمة من اختراع واكتشاف في مجال العلوم والصناعات، إنما يتم ذلك بعون الله وتوفيقه،

¹ - المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت- لبنان، دط، دت، ص 598.

² - معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مطبوعات مجمع اللغة العربية، القاهرة- مصر، دط، 1409هـ/1988م، (ع و ن)، ج 1، ص 805.

³ - المعجم الوافي لكلمات القرآن الكريم: محمد عتريس، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م، (استعينوا)، ص 65.

⁴ - البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، دط، دت، ج 4، ص 66.

⁵ - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد رضا، دار المنار، القاهرة- مصر، الطبعة الثانية، 1366هـ/1947م، ج 1، ص 59.

⁶ - الفيض الرباني في بيان معاني القرآن: محمد الحواس بوسنة، ج 1، ص 21.

فألله سبحانه يأخذ بعقولنا وأعيننا فيضعها حيث أراد تعالى فتتكشف المعارف والقوانين والنظريات"⁽¹⁾.

ويحذر من مغبة الإلحاد وسوء الأدب مع الله التي يقع فيها بعضهم فيقول: "ومن يعتقد من العلماء أنه يصل إلى تلك القوانين الكونية والعلمية بنفسه دون عون من الله فهو ملحد -عافانا الله منه- أو هو مؤمن غير متواضع لم يوفقه إيمانه إلى معرفة الله حق المعرفة"⁽²⁾. وهكذا يجعل مرور المؤمن على هذه الآية يذكره بكل هذه المعاني العظيمة، خاصة أنها من سورة الفاتحة التي يكررها المصلي في كل ركعة من صلاته.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿ولا الضالين﴾ الفاتحة7.

يتمحور تنزيل الآية التي بين أيدينا على الواقع على لفظ (الضالين)، الذين أمرنا الله عز وجل أن ندعوه ليجنبنا سبيلهم ومنهجهم، فقد ضلوا وجانبوا طريق الهداية، يقول الراغب: "الضلال العدول عن الطريق المستقيم، ويزاده الهداية"⁽³⁾، ويميل صاحب الكتاب إلى القول بأن المراد بهم في الآية: النصارى، قال: "أما الضالون الذين ضلوا السبيل بعد رفع الله عيسى بن مريم- عليه السلام- فهم النصارى الذين ساروا في العمه وتاهوا في الضلال"⁽⁴⁾، وهذا الكلام أردفه إلى بيان أن المغضوب عليهم هم اليهود الذين علموا الحق وكنتموه فغضب الله عليهم، قال: "ولكن حقد اليهود وتعصمهم أعمى أبصارهم عن الهداية والإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا يبشرون بظهوره، والقرآن تحدث عن تمادي اليهود على الكفر رغم علمهم اليقيني بصحة نبوة ورسالة الرسول الكريم"⁽⁵⁾، والقول بأن الضالين هم النصارى هو قول جماهير المفسرين، ففي المعجم الوافي لكلمات القرآن الكريم شرح كلمة الضالين بأنهم: "الذين انحرفوا عن سواء السبيل، والضلال في كلام العرب هو الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق، والمراد بالضالين النصارى لقول الله فيهم: ﴿قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾ المائدة77، وقد استعمل القرآن الكريم في الآية الاسم خلافاً للآية السابقة حيث استعمل الفعل لدلالة إضافية، قال صاحب إشارات الإعجاز: "واسماً لأن الضلالة إنما تكون ضلالة إذا لم تنقطع"⁽⁶⁾، فاستعمل الضالين ولم يستعمل ضلوا لأن الاسم يدل على ثبوت الصفة لهم، والتصاقها بهم.

أما عن تنزيل الآية على واقعنا فيتحدث صاحب التفسير عن الضلال الذي يعيشه العالم المسيحي اليوم، وعدائه للإسلام، وتحالفه مع أهل الشرك الوثنية الذين هم أبعد الناس عن

¹ - الفيض الرباني في بيان معاني القرآن: محمد الحواس بوسنة، ج1، ص21.

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

³ - المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ص509.

⁴ - الفيض الرباني في بيان معاني القرآن: محمد الحواس بوسنة، ج1، ص23.

⁵ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁶ - إشارات الإعجاز في مظان الإعجاز: بدیع الزمان سعید النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة- مصر، الطبعة الثالثة، 2002، ص36.

الديانات السماوية، فيقول: "ونصارى أوروبا ساروا في الاتجاه الذي سار عليه اليهود، فكفروا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم كما كفر اليهود من قبل بعيسى، وخاصة بعد ظهور غلاة الصليبية ك(بطرس الناسك⁽¹⁾) الذي قاد الحروب الصليبية، وقد عم هذا الحقد كل أرجاء المعمورة، وتعصبوا أكثر من تعصب اليهود، بل تحالفوا مع الوثنيين والمشركين ضد الإسلام، ظهر هذا مع التتار والمغول"⁽²⁾.

وبذلك يوضح أن هذه الطائفة من أهل الكتاب التي التسق بها الوصف بالضلال في القرآن الكريم، فهي حقا تسرح في الضلال إلى يومنا هذا، فتكفر بالنبي الذي بشر به -عيسى عليه السلام- وتساند قتلة الأنبياء والمشركين بالله، فصدق فيها وصف الله -عز وجل-.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ﴾ البقرة:13.

ومحور تنزيل هذه الآية على الواقع لفظ (السفهاء) الذي قال الراغب في معناه: "السفه خفة في البدن"⁽³⁾، فهو خفة تنم عن جهل وسوء تصرف، كما جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم: "السفهاء ج سفهه، من يتصرف عن جهل أو نقصان دين"⁽⁴⁾. وفي المعجم الوافي لكلمات القرآن الكريم يقول: "السفهاء جمع سفهه وهو الجاهل الضعيف الرأي القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار، والسفه سخافة العقل وخفة الحلم وفساد البصيرة"⁽⁵⁾، ولا يختلف صاحب التفسير عن هذا المعنى في تعريف السفه حيث يقول: "السفاهة نوع من البله وسوء التصرف"⁽⁶⁾، وفي تفسير المنار يعرف السفه بقوله: "المراد بالسفه الطيش وخفة العقل وضعف الرأي، ومن لوازمه سوء التصرف"⁽⁷⁾.

وهنا يعرض صاحب الكتاب لمسألة فقهية اختلف فيها فقهاء الأمة؛ وهي مسألة الحجر على السفهه الذي لا يحسن التصرف في ماله، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَوْتُوا السَّفَهَاءَ مَأْوَالِكُمْ﴾ النساء:5، فذكر قول المالكية بالحجر على السفهه الذي لا يحسن التصرف في ماله، والذي منعه الحنفية لتنافيه مع كرامة الإنسان فيقدمونها على حفظ المال، وهنا يرجح صاحب التفسير قول الحنفية ويدعو إلى العمل به، قال: "ولعمري أن هذا الفهم الحنفي للنفس الإنسانية أقرب إلى الحق مما ذهبت إليه المالكية؛ لأن الجانب النفسي يؤثر على سلوك المرء، فالأبله إذا حجر عليه سيزداد بلاهة وسفاهة"⁽⁸⁾، ويعلل هذا الترجيح بحفظ كرامة الإنسان، وكذلك بالأثر النفسي السلبي الذي يزيد صاحبه سفها بدل أن يحفظه منه، فهو يرى أن علاج السفه لا يكون بعزل السفهه، ومنعه من التصرف في ماله وأملاكه، فإن ذلك لا يزيده إلا سذاجة وسوء تصرف.

¹ - بطرس الناسك راهب وخطيب فرنسي عاش بين (1050/1115م) اشتهر بقيادته حملة الفقراء ضد الشرق.

² - الفيض الرباني في بيان معاني القرآن: محمد الحواس بوسنة، ج1، ص23، 24.

³ - المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ص414.

⁴ - معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (س ف هـ)، ص575.

⁵ - المعجم الوافي لكلمات القرآن الكريم: محمد عتريس، ص499.

⁶ - الفيض الرباني في بيان معاني القرآن: محمد الحواس بوسنة، ج1، ص34.

⁷ - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد رضا، ج1، ص159.

⁸ - الفيض الرباني في معاني القرآن: محمد الحواس بوسنة، ج1، ص34.

النموذج الرابع: قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ البقرة:31.

لقد كان مدار شرح هذه الآية وتزليلها على الواقع على لفظ (عَلَّمَ) الوارد في الآية، والمراد بالعلم إدراك الأشياء على حقيقتها، كما قال الراغب: "العلم إدراك الشيء بحقيقته.... والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم"⁽¹⁾. وهنا يبين صاحب التفسير معنى تعليم المولى -عز وجل- آدم عليه السلام الأسماء كلها؛ وذلك عن طريق ما زرعه فيه من غرائز، ونصطلح عليه اسم (الفطرة)، أضف إلى ذلك القابلية والاستعداد لتقبل المكتسبات، وتعلمها من المحيط الطبيعي والاجتماعي، ويؤكد أنها صفة مميزة اختص بها بنو آدم عن غيرهم من الكائنات، وفي هذا المعنى يقول النورسي: "أي صورته بفطرة تضمنت مبادئ لأنواع الكمالات، وخلقته باستعداد زرع فيه أنواع المعالي، وجهزه بالحواس العشر وبوجدان تتمثل فيه الموجودات، وأعدّه بهذه الثلاث لتعلم حقائق الأشياء بأنواعها، ثم علمه الأسماء كلها"⁽²⁾، ويربط في هذه الآية بين خلق آدم -عليه السلام- وتفضيله على الملائكة وبين تعليمه الأسماء كلها فيقول: "إن خلافة الله تعالى في أرضه لإجراء أحكامه وتطبيق قوانينه تتوقف على علم تام...فخلقه وسواه ونفخ فيه من روحه ورباه ثم علم الأسماء وأعدّه للخلافة"⁽³⁾، فالغاية من التفضيل والتعليم هي الإعداد للخلافة، وفي هذا تنويه بفضل العلم وأهله فهم الأحق بالتقديم والاستشارة: "(عَلَّمَ) فيه إشارة إلى تنويه العلم ورفعته ودرجته وأنه هو المحور للخلافة"⁽⁴⁾.

وهنا يبين المؤلف مفهوم بعض المصطلحات التي يجري الخلط بين مدلولاتها، وتستعمل في غير موضعها، فيفرق بين التربية والتعليم؛ فالتربية مبنية على تنشئة البشري وإعداده للحياة إعدادا متكاملا، بالاهتمام بالجانب العقلي والاجتماعي والوجداني والأخلاقي، أما التعليم فيقول أنه يهتم بالجانب المعرفي لا غير⁽⁵⁾، وكذلك يفرق بين التعليم والترويض والثاني منهما يستعمل للحيوان، ويقول أن التعليم يبني على الحب المتبادل بين المعلم والمتعلم، أضف إلى ذلك الإثارة والتشويق، أما الترويض فإنه يقوم على التخويف والقهر.

أما ربط الموضوع بالواقع فيدعو فيه صاحب التفسير الراغبين في ولوج عالم التربية والتعليم أن يعطوا هذه المهمة الدقيقة قدرها من الاهتمام، بالتحلي بالصبر وحب هذه المهمة النبيلة وتعلم أبعادها، ويقول في ذلك: "نقول لكل من يرغب في أن يكون مربيا: عليه أن يتحلى بالصبر، وتعلم صنعة التعليم، والحب للمهنة وللمتعلمين"⁽⁶⁾، كما يدعو إلى الشفقة على المتعلمين مع البعد عن الشدة والبطش فهي من خصائص عملية ترويض الحيوان، تتناهى مع كرامة الإنسان، قال: "ونبته المعلمين إلى البعد عن الشدة والقهر ضد المتعلمين، وإلا تحولت

¹ _ المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ص580.

² - إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: بديع الزمان سعيد النورسي، ص241.

³ - المصدر نفسه، ص240.

⁴ - إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: بديع الزمان سعيد النورسي، ص241.

⁵ - الفيض الرباني في معاني القرآن: محمد الحواس بوسنة، ج1، ص34.

⁶ - المصدر نفسه، ج1، ص49.

العملية من عملية تربوية إلى عملية ترويضية حيوانية لا تليق بكرامة الإنسان⁽¹⁾.

النموذج الخامس: قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ البقرة:45.

وهذه الآية تحمل قاعدة عملية يعترف بها كل عاقل، فلا ينبغي لمن يوجه الناس ويذكرهم ويعظهم أن يسهو عن العمل بما يدعو إليه، والمعنى العام لهذه الآية مبني على لفظ: (الأمر بالبر ونسيان النفس)، والأمر قال عنه الراغب: "ومصدر أمرته: إذا كلفته أن يفعل شيئاً"⁽²⁾، والأمر هنا من باب الطلب والدعوة إلى فعله، كما جاء في معجم ألفاظ القرآن: "الأمر بالمعروف الطالب فعله"⁽³⁾. أما لفظ النسيان فجاء في معجم ألفاظ القرآن: "نسي: غاب عن ذاكرته وحافظته"، ولكنه ذكر أن معناه في هذه الآية بمعنى الترك والإهمال⁽⁴⁾، وهو إنكار على الأخبار الذين ينصحون الناس ويبخلون على أنفسهم بالعصيان والعناد، قال الزمخشري: "وكان الأخبار يأمر من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه، وقيل: كانوا يأمر من بالصدقة ولا يتصدقون، وإذا أتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها"⁽⁵⁾.

وفي تنزيل الآية على الواقع يعطف صاحب التفسير على كلامه عن التربية والتعليم، فيوجه القائمين على هذه المهمة أن يكونوا رساليين لا طالبي أجره فحسب، وأن يتحلوا بأخلاق المرين أينما وجدوا وحيثما ارتحلوا قال: "رجال التربية يؤكدون بالنسبة لشخصية المعلم أنه ينبغي أن يكون معلماً أينما كان وحيثما وجد، في المدرسة مع تلاميذه، أو خارجها مع الناس، فالمعلم يجب أن يكون له وجه واحد في تعامله مع خالقه، ومع المحيطين به من الناس"⁽⁶⁾، وكذلك يوجه كلمة لرجال الدين والدعاة إلى الله بأن يقدروا المكانة التي اصطفاها الله - عز وجل - لتبوءها وسط الناس، فيكونون لهم القدوة الحسنة فيفعلون المعروف قبل أمر الناس به، وينتهون عن المنكر قبل نهي الناس عنه، فقال: "ورجل الدين معلم ومرابي لغيره، وخليفة لأنبياء الله ورسله، فيجب أن يكون القدوة الحسنة لغيره، لا أن يتسم سلوكه بالتذبذب والخيانة، والتلون كالحرباء، يلبس لكل حالة لباسها، فهذا السلوك لا يليق بمكانة رجل الدين والداعية إلى الله بنية ومقصد سليم، ولهذا يفترض في الداعية إلى الله أن يمثل لأعمال المبرات والطاعات قبل أن يطلبها من غيره، هذا المعنى هو ما ترشد إليه الآية الكريمة"⁽⁷⁾.

¹ - الفيض الرباني في معاني القرآن: محمد الحواس بوسنة ، ج1، ص49.

² - المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ص88.

³ - معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (أ م ر)، ص78.

⁴ - المصدر نفسه، ص1096.

⁵ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل: جار الله الزمخشري، تحقيق: خليل مأمون شيحا،

دار المعرفة، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة، 1430هـ/2009م، ص74.

⁶ - الفيض الرباني في معاني القرآن: محمد الحواس بوسنة، ج1، ص60.

⁷ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

النموذج السادس: قوله تعالى: ﴿ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله﴾¹
البقرة:61.

يدور معنى هذه الآية حول علاقة بني إسرائيل بالله -عز وجل- بعد تنكرهم لنعم الله عليهم، وعصيانهم لأنبيائه، بل كيدهم لأنبياء الله وقتلهم إياهم، فكان عاقبة ذلك سقوطهم من عين الله، وحق عليهم غضب الله وعقابه، قال الزمخشري: "باءوا بغضب من الله أي: صاروا أحقاء بغضبه"⁽¹⁾، فكتب عليهم التيه في الصحراء حتى تجردهم الابتلاءات من تلك الأمراض التي علقت بقلوبهم، قال الراغب: "الغضب ثوران دم القلب إرادة الانتقام.....وإذا وصف الله تعالى به فالمراد به الانتقام دون غيره"⁽²⁾، وقد استعمل الله -عز وجل- لفظ الغضب نكرة للدلالة على شدته، جاء في تفسير المنار: "وتنكير الغضب على أنه نوع عظيم من سخطه جل شأنه"⁽³⁾.

أما عن تنزيل الآية على الواقع فإن المؤلف ذكر أن آثار التيه الذي كان لبني إسرائيل عقوبة من الله على عصيانهم لم ترسخ في أذهانهم، وذلك ألصق بهم صفة (المغضوب عليهم) الذين حق عليهم غضب الله، فإن الدرس لم يؤتي ثمرته، ولا يزال اليهود وحرکتهم الصهيونية لا يسلمون من شر ولا ينتهون عن فساد. فقال: "ونشير إلى أن آثار التيه لم ترسخ في أذهان الشعب الإسرائيلي، إذ سرعان ما انحرفوا وزاغوا وكانوا يقتلون الأنبياء والرسل، وإلى اليوم كيدهم لم يسلم منه إنسان أو أمة أو شعب"⁽⁴⁾، ويؤكد أن صفة الإفساد في الأرض، وإلحاق الأذى بالآخرين صفة أخرى تضاف إليهم، زيادة على صفة كتمان الحق، وإنكاره بعد العلم به، قال: "ولهذا السبب فاليهود أصبحوا محل تهمة ليس فقط لأنهم كتموا الحقيقة، وإنما لمسلكتياتهم المطبوعة على الشر، وليس المسلمون هم العرصة لخطر اليهود فحسب، بل الناس جميعاً"⁽⁵⁾، ويضيف أن الزمن قد ابتسم لهم مع العالم المسيحي الذي أصبح في خدمة مخططاتهم بوعد (بلفور) ثم المساندة الأوروبية بعد الحرب العالمية الثانية، قال: "إن ابتسمت لهم الأيام لهم في هذا العصر بعد الحرب العالمية الأولى مع الإنجليز ووزير خارجيتها (بلفور)، ثم مع الأمم الأوروبية بعد الحرب العالمية الثانية بسبب عداوة (هتلر) لهم"⁽⁶⁾، أما عن السبب الحقيقي لهذه المساندة فيذكر أن عداوة هتلر لليهود وانتهاكه لحقوقهم مجرد غطاء للمسألة، وإنما السبب الحقيقي لتلك المؤازرة هو الوصول إلى الثروات التي تملكها البلدان العربية والإسلامية، قال: "وهذا النازي ليس عدوا لليهود فحسب، بل هو عدو للبشرية جمعاء، وإنما أوروبا وأمريكا وجدتا في قضية (هتلر) مبررا لضرب المسلمين في فلسطين، والمبرر الحقيقي هو أنهم وجدوا في اليهود (حصان طروادة)، لضرب العرب والمسلمين والسيطرة على الثروات

¹ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله الزمخشري، ص 79.

² - المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ص 608.

³ - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد رضا: ج 1، ص 332.

⁴ - الفيض الرباني في معاني القرآن: محمد الحواس بوسنة، ج 1، ص 75.

⁵ - المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

⁶ - المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

المختلفة التي تزخر بها المنطقة"⁽¹⁾.

النموذج السابع: قوله تعالى: ﴿ثم قست قلوبهم﴾ البقرة 74.

تتحدث هذه الآية عن الحالة التي وصل إليها مجتمع بني إسرائيل من شدة تطبع قلوبهم، وذلك بسبب المعاصي والذنوب، قال الراغب: "القسوة غلظ القلب، وأصله من حجر قاس"⁽²⁾. وجاء في معجم ألفاظ القرآن: "قست: غلظت وصلبت". وقال: القلوب القاسية هي الغليظة البعيدة عن الرحمة"⁽³⁾. وفي المعجم الوافي لكلمات القرآن الكريم: "والقسوة الغلظ والصلابة فهي من صفات الحجارة، وتوصف بها القلوب مجازا لتعبر عن عدم تأثر قلوبهم بالقوارع والعظاات"⁽⁴⁾، والعظاات"⁽⁴⁾، وقد ذكر الله -عز وجل- هذه الصفة في بني إسرائيل بعد قصة البقرة التي تدعو إلى الاعتبار ولين القلوب، إلا أن قلوبهم أصبحت لا تنتفع بموعظة ولا تذكير، فقال: ﴿ثم قست قلوبهم﴾ البقرة 74. كما أن في هذا إشارة إلى أن قلوبهم تغيرت ولم تبق على قلوب الأولين الذين اعتبروا بتلك الحادثة. وتأثرت بها قلوبهم، قال صاحب المنار: "فالعطف ب(ثم) يفيد أن الأولين منهم قد خشعت قلوبهم لما رأوا في زمن موسى -عليه السلام- ما رأوا ثم خلف من بعدهم خلف كان أمر قسوتها ما وصفه -عز وجل-"⁽⁵⁾، وقد استعمل لفظ الشدة مع القساوة لدلالة أقوى، فلم يقل: أفسى من الحجارة، بل قال: أشد قسوة، قال الزمخشري: "لكونه أبين وأدل على فرط القسوة"⁽⁶⁾.

ويقول صاحب التفسير أن الله -عز وجل- وجه تهمة القتل إلى بني إسرائيل جميعا؛ فقال: ﴿وإذ قتلتم نفسا﴾ البقرة 72، ويقول أن سبب هذه التهمة أمور:

- أن الأغلبية في هذا المجتمع أصبح فيه قابلية للفساد والإجرام والقتل.

- الصمت على منكرات شنيعة تحدث بينهم فلا تجد منكرا.

- فتاوى أحبارهم المضلة بجواز قتل الصالحين والمسلمين من غير ذنب أو إثم.

وعن تنزيل هذه الآية على الواقع يتحدث صاحب الكتاب عن صفة القسوة التي وسم بها شعب بني إسرائيل في القرآن الكريم، ويؤكد أن هذه الصفة التصقت بهم، ولا تزال من مميزاتهم من عهد نزول الوحي إلى يومنا هذا، لم يتوبوا منها، ولا تطهرت منها قلوبهم، فقال: "وهذه القسوة ما زالت فيهم إلى اليوم، وما يفعلونه اليوم مع الفلسطينيين خير شاهد على ما أقول، فقد كسرت عظام أطفال الحجارة على مرأى وسمع من العالم"⁽⁷⁾.

النموذج الثامن: قوله تعالى: ﴿ما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾ البقرة 102.

¹ - الفيض الرباني في معاني القرآن: محمد الحواس بوسنة، ج 1، ص 75.

² - المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ص 671.

³ - معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (ق س و)، ص 898.

⁴ - المعجم الوافي لكلمات القرآن الكريم: محمد عتريس، ص 680.

⁵ - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد رضا، ج 1، ص 353.

⁶ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله الزمخشري، ص 83.

⁷ - الفيض الرباني في معاني القرآن: محمد الحواس بوسنة، ج 1، ص 85.

جاء في الآية لفظاً (هاروت وماروت) وقد وقع بين أهل التفسير خلاف في حقيقتهما، أهما من الملائكة، أم من الشياطين، أم من بني آدم، ويذكر الأصفهاني الأقوال الثلاثة: "هاروت وماروت هما الملكان، وقال بعض المفسرين: هما اسما شيطانين من الإنس أو الجن"⁽¹⁾. وجاء في معجم ألفاظ القرآن: "ماروت كان هو وهاروت ملكين كلفا تعليم الناس السحر فتنة لهم"⁽²⁾، وفي كل الأحوال فهما فتنة وابتلاء للناس، قال الزمخشري: "والذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس، من تعلمه منهم وعمل به كان كافراً... كما ابتلى قوم لوط بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني"⁽³⁾.

أما صاحب الكتاب فقد نأى بنفسه عن الأقوال الضعيفة، والتي لم تبين على دليل قوي فقال: "سكتفي بما قاله المحققون من أن (هاروت وماروت) كانا رجلين متظاهرين بالصلاح والتقوى في (بابل) المدينة المعروفة في التاريخ، وكان الرجلان يعلمان الناس السحر، وبلغ حسن اعتقاد الناس فيهما أن ظنوا أنهما ملكان من السماء، وما يعلمانه للناس هو وحي من الله"⁽⁴⁾.

أما عن تنزيل هذه الآية على الواقع فيحذر فيه صاحب التفسير من القول في كتاب الله بغير علم، ودون إدراك لحقيقة معانيه التي أرادها الله قال: "على المسلم ألا يتفلسف في المتشابه من القرآن مما قد يضر بإيمانه"⁽⁵⁾، فيجعل القضية إيمانية عقائدية مما يدل على خطرة التساهل التساهل فيها.

النموذج التاسع: قوله تعالى: ﴿ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها﴾ البقرة 114.

لقد كان مدار تنزيل الآية التي بين أيدينا على الألفاظ الآتية: (منع عمارة المساجد بذكر الله، والسعي في خرابها)، وأكمل الذكر ما توافق فيه القلب واللسان، جاء في معجم ألفاظ القرآن: "ذكر الله استحضار عظمته مع التدبر"⁽⁶⁾، وله ألوان شتى كالصلاة وقراءة القرآن والتسبيح والتهليل والدعاء... ومنه قوله تعالى: ﴿إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾ الجمعة 9، وإذا كان الأصل في السعي هو المشي السريع، فإنه يستعمل للجد في الأمر، والاجتهاد في تحصيل الخير أو الشر، قال الراغب: "السعي: المشي السريع، وهو دون العدو، ويستعمل للجد في الأمر خيراً كان أو شراً"⁽⁷⁾، وجاء في معجم ألفاظ القرآن: سعى: "عمل عملاً خيراً كان أو شراً"⁽⁸⁾، وإذا كان نزول هذه الآية في النصارى الذين كانوا يطرحون الأذى في بيت المقدس، والروم الذين غزوا أهلهم ولم يعرفوا له ولا لأهلهم حرمة، أو كان في مشركي مكة الذين

¹ - المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ص 840.

² - معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (ماروت)، ص 1029.

³ - الكشف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله الزمخشري، ص 89.

⁴ - الفيض الرباني في بيان معاني القرآن: محمد الحواس بوسنة، ج 1، ص 107.

⁵ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁶ - معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (ذكر)، ص 431.

⁷ - المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ص 411.

⁸ - معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص 572.

منعوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من دخول مكة للعمرة عام الحديبية، فإن لفظ الوعيد عام يشمل كل من اتصف بهذه الصفات، قال الزمخشري: "فإن قلت: فكيف قال: ﴿مساجد الله﴾ وإنما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام، قلت: لا بأس أن يجيء الحكم عاما وإن كان السبب خاصا، كما تقول: لمن آذى صالحا واحدا، ومن أظلم ممن آذى الصالحين"⁽¹⁾، كما أن القرآن استعمل استفهام الإنكار للدلالة على شناعة الأمر، قال محمد رشيد رضا: "هي كل حال ناطقة بوجوب احترام كل معبد يذكر فيه اسم الله تعالى بالصلاة والتسبيح، وبتحريم السعي في خراب المعابد، وبالحكم على الذين يصدون الناس عنها ويسعون في خرابها -أي هدمها أو تعطيل شعائرها ومنع عبادة الله فيها- بكونهم أظلم الناس كما يستفاد من استفهام الإنكار"⁽²⁾.

أما عن معنى الآية في واقعنا فقال: "مثل ما فعل كمال أتاتورك في تركيا الذي حول المساجد إلى متاحف، وصد المسلمين عن المساجد، أو صرفهم عن الدين، أم تعلق الأمر بما يحدث في الجزائر"⁽³⁾، وهذه أمثلة عن منع عمارة مساجد الله بالذكر والصلاة، أما السعي في خراب بيوت بيوت الله فقال فيه: "وقد استهدفت المساجد أيام الجمعة في الجزائر بالقنابل تلقى في المساجد على المصلين بدوافع سياسية، كان من المفروض أن تعالج تلك القضايا في غير بيوت الله، لأن المجتمع مسلم، ولا أحد يسمح لغيره بأن يستعمل المسجد للدعاية السياسية والوصول إلى الكرسي"⁽⁴⁾، وكأنه يقول أن هذا يدخل في دلالة الآيات فهذا تخريب لبيوت الله، ومنع لعمارتها بالذكر والصلاة، وهو من أشد الظلم عند الله، وعاقبة الظلم وخيمة.

النموذج العاشر: قوله تعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب﴾ البقرة 132.

يدور معنى هذه الآيات حول (الوصية) التي تناقلتها عائلة النبوة؛ عائلة إبراهيم عليه السلام من الجد إلى الأبناء إلى الأحفاد، وبيان قيمة هذه الوصية وحاجتنا إلى التمسك بها، والعمل بما جاء فيها في كل عصر، وهي وصية ارتكزت على أصل متين؛ وهو مبني أساسا على معرفة نعمة الهداية للإسلام والمحافظة عليها، قال صاحب الكتاب: "ومما يلفت الانتباه في وصيتي الرسولين، أنها بنيت على ركيزة العقيدة باعتبارها رأس الحكمة والخير، ولأن صلاح الفرد والمجتمع تابع لصلاح إيمانه وعقيدته"⁽⁵⁾، وقد سماها الله -عز وجل- وصية لما في هذا اللفظ من حرص على إرشاد الناس لما يحقق منافعهم العاجلة والآجلة، فقد عرف الراغب الوصية بقوله: "الوصية التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ من قولهم: أرض واصمة: متصلة النبات"⁽⁶⁾، وجاء في المعجم الوافي لكلمات القرآن الكريم: "وصاه بكذا: رغب إليه في أن يفعله لما فيه من خير

¹ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله الزمخشري، ص 93.

² - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد رضا، ج 1، ص 432.

³ - الفيض الرباني في معاني القرآن: محمد الحواس بوسنة، ج 1، ص 120.

⁴ - المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

⁵ - المصدر نفسه، ج 1، ص 139.

⁶ - المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ص 873.

وصلاح"⁽¹⁾، وقد استعمل لفظ (وصى) لأنه أبلغ من (أوصى)، "وصى فيها معنى التكثر في أبلغ من أوصى"⁽²⁾، كما أن استعمال (وصى) ناسب المقام، فقد ثبت أن القرآن الكريم يستعمل (أوصى) في الأمور المادية، أما (وصى) فيستعمل للأمور المعنوية والشرعية، يقول السامرائي: "ومن ذلك استعمال (وصى) و(أوصى) فكل ما ورد فيه من (وصى) بالتشديد فهو في الدين والأمور المعنوية وكل ما ورد من (أوصى) فهو في الأمور المادية"⁽³⁾، وقد حملت هذه الوصية أصل النجاة السعادة في الدارين بتوحيد الله وإقامة شريعته، قال محمد رشيد رضا: "دين الله تعالى واحد في حقيقته، وروحه التوحيد والاستسلام لله تعالى والخضوع والاذعان لهداية الأنبياء، وهذا كان يوصي أولئك النبيون أبناءهم وأمهم، فتبين أن دين الله تعالى واحد في كل أمة وعلى لسان كل نبي"⁽⁴⁾.

وعند تنزيل الآية على واقعنا قال المؤلف: "والدرس الذي يمكن للمسلم المتسم سلوكه بالصلاح والخير والتقوى، أن يستخلصه من هاتين الوصيتين قيما يتصل بتنشئة أبنائنا وفلذات أكبادنا"⁽⁵⁾، وهنا يلقي المؤلف اللوم على غالبية العلماء الذين لم يعطوا هذه الآية ومثيلاها حقا من البيان والاستنباط الذي يوجه لعامة المسلمين للعمل به، قال: "فلم يرع هذا الأمر عدا قلة من العلماء في مقدمتهم أبو حامد الغزالي -رحمه الله- وكتابه في الموضوع لم تعط له العناية الكافية من المسلمين فبقي حبيس المكتبات والخزائن الخاصة"⁽⁶⁾، ويؤكد المؤلف على ضرورة الأخذ بهاتين الوصيتين في تربية الأبناء، وإعداد رجال المستقبل إعدادا يشمل كل جوانب الشخصية قال: "على المسلمين أن ينظروا إلى ما جاء في وصيتي الخليل إبراهيم وحفيده يعقوب -عليهما السلام- فيجعلون من هاتين الوصيتين الأساس في تربية الطفل المسلم، الذي يجب أن يكون عقله ووجدانه ومداركه كلها مفعمة بالتربية القرآنية، باعتبار القرآن حجر الأساس في بناء شخصية الفرد المسلم"⁽⁷⁾.

خاتمة

لا ندعي أن هذا العمل قد أعطى لموضوع البحث حقه من البحث والجمع والتدقيق، بقدر ما نعتقد أننا قد سلطنا الضوء على مدونة مميزة من كتب التفسير، وفتحنا باب البحث في جانب من جوانبها، آمين أن يكون هذا إسهاما في إحياء منهج مدرسة التفسير في الغرب الإسلامي، والتي اشتهر علماءها ببروز ظاهرة تنزيل الآيات على الواقع في تفاسيرهم، وقد خلصنا في نهاية هذا البحث إلى نتائج نذكرها بين أيديكم:

¹ - المعجم الوافي لكلمات القرآن الكريم: محمد عتريس، ص 899.

² - المعجم الوافي لكلمات القرآن الكريم: محمد عتريس، ص 899.

³ - التعبير القرآني: فاضل صالح السامرائي، ص 15.

⁴ - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد رضا، ج 1، ص 477.

⁵ - المصدر نفسه، ج 1، ص 139.

⁶ - المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

⁷ - المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

- 1- ربط المؤلف بين معاني الآيات وواقع الأمة في صورة شيقة متناغمة مبنية على علم وبصيرة.
 - 2- تنوعت الأحكام المنزلة بين أحكام فقهية وتوجيهات أخلاقية وإرشادات فكرية.
 - 3- وقفت على النزعة الإصلاحية البارزة عند صاحب الكتاب، وحرقتة على حال الأمة خاصة عند التطرق للقضايا الحساسة.
 - 4- لقد كان للألفاظ الواردة في الآيات دور واضح في تنزيل الأحكام على الواقع، بما تحمله من دلالات واسعة ومتجددة.
 - 5- إذا كان صاحب الكتاب قد أغفل الجانب اللغوي والبلاغي في الشرح إلا أنه ركز على الجانب الدلالي، والوقوف على فحوى الخطاب.
- وفي ختام هذا البحث لا يسعنا إلا أن نوصي بـ:
- المحافظة على هذا الملتقى الذي يسלט الضوء على موضوع بحث يكتسي أهمية خاصة.
 - الاهتمام بتفاسير الغرب الإسلامي التي عرفت بتميز أسلوبها، ومنهجها الخاص في عرض المادة العلمية.
 - إعطاء تفسير (الفيض الرباني في بيان معاني القرآن) للشيخ محمد الحواس بوسنة حقه من الدراسة والبحث.

قائمة المصادر والمراجع:

- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزرلر للنشر، القاهرة- مصر، الطبعة الثالثة، 2002.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، دط، 1424هـ/2003م.
- الأعمال الكاملة للشيخ محمد الحواس بوسنة السطايفي ج6 (تأبينية الشيخ الإمام محمد الحواس بوسنة)، دار كنوز الرشيد للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة- الجزائر، دط، 2015م.
- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، دط، دت.
- بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعراباً وتفسيراً بإيجاز: بهجت عبد الواحد الشبخلي، مكتبة دنديس، عمان- الأردن، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: فاضل صالح السامرائي، العاتك لصناعة الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، الطبعة الثانية، 1427هـ/2006م.
- التعبير القرآني: فاضل صالح السامرائي، دارعمار، عمان- الأردن، الطبعة الرابعة، 1427هـ/2006م.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد رضا، دار المنار، القاهرة- مصر، الطبعة الثانية، 1366هـ/1947م.
- التفسير اللغوي للقرآن الكريم: مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية، دط، دت.

- تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين دراسة وتطبيق: عبد العزيز بن عبد الرحمان الضامر، مجلة جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، 1428هـ/2007م .
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، 1413هـ/1992م.
- صفة الصفوة: جمال الدين ابن الجوزي، تحقيق: خالد مصطفى طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، دط، 1433هـ/2012م.
- فقه التنزيل حقيقته وضوابطه: وسيلة خلفي، دار الوعي، الجزائر العاصمة- الجزائر، الطبعة الأولى، 2009م.
- الفيض الرباني في بيان معاني القرآن: محمد الحواس بوسنة، تحقيق: عبد الكريم حامدي، دار كنوز الرشيد للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة- الجزائر، دط، 2015م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله الزمخشري، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة، 1430هـ/2009م.
- كيف نتعامل مع القرآن العظيم: يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة- مصر، الطبعة الثالثة، 1421هـ/2000م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م .
- معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مطبوعات مجمع اللغة العربية، القاهرة- مصر، دط، 1409هـ/1988م.
- المعجم الوافي لكلمات القرآن الكريم: محمد عتريس، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م.
- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت- لبنان، دط، دت.
- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن: محمد عبد الله دراز، تحقيق: عبد الحميد الدخاخي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1421هـ/2000م.